شعر ابن عبدربه بين القدامى والمحدثين

د.عثمان عبدالرحمن عثمان*

ابن عبدربه كنيته أبو عمر، واسمه أحمد بن محمد بن عبدربه بن حبيب بن حدير بن سالم، وجده الرابع "سالم" هذا كان مولى لهشام بن عبدالرحمن (الداخل) بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . ولد بقرطبة في العاشر من رمضان سنة ٢٤٦ هـ = ٨٦٠/١١/٢٩ م وتوفى في الثامن عشر من جمادي الأولى سنة ٣٢٨هـ = ٩٤٠/٣/٣ م ، فهو قد عاش إحدى وثمانين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام وفق التقويم الهجري [١] يقول عنه ابن الفرضي (ت٤٠٣هـ): "سمع من بقي بن مخلد وابن وضاح والخشني، وهو شاعر الأندلس وأديبها، كتب الناس عنه تصنيفه وشعره"[٢] فهو كما يبدو من كلام ابن الفرضي شاعر مشهور وأديب متميز يكتب عنه الناس العلم والشعر ،ولذا يقول عنه الحميدي (ت٤٨٨هـ) أيضاً:"وكان لأبي عمر بالعلم جلالة وبالأدب رياسة وشهرة، مع ديانته وصيانته، واتفقت له أيام وولايات للعلم فيها نفاق، فساد بعد خمول، وأثرى بعد فقر، وأشير بالتفضيل إليه إلا أنه غلب عليه الشعر [١] .

وهكذا نرى أن صاحب العقد قد ذاع صيته في عصره، عالماً وأديباً، وعرف معتصماً بدينه مراقباً لربه وعاش أياماً راج فيها العلم، وارتفعت أقدار أهله فكان له أن ساد وكان له أن أثرى بعد أن كان فقيراً وأشير إليه بالتفصيل ، وغلب عليه الشعر بوصفه أديباً .

وينقل الضبي في بغية الملتمس أكثر ما قاله الحميدي في جذوة المقتبس عن ابن عبدربه ، ومن الطريف أنه يخطئ في عدّ سنوات حياته إذ يقول :" وتوفى عن إحدى وسبعين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام " [٢] مع أنه لم يخطئ في تحديد تاريخي الميلاد والوفاة اللذين سبق ذكرهما .

---

* للدكتور/عثمان عبدالرحمن عثمان أستاذ الأدب العربي المساعد كلية الآداب بسوهاج / جامعة جنوب الوادي.

وينسب ابن عبدربه إلى قرطبة فيقال: "القرطبي" [٣]ويقال: "الأندلسي القرطبي" [٤] ويقال :" من أهل قرطبة " [٥] ذلك أنه ولد وعاش في قرطبة، وفي مقبرة بني العباس بها دفن ، وكانت حياته أيام كانت تلك البلاد في أوج مجدها وأعظم عهودها حضارة وثقافة ومعرفة وترفاً ، إذ وافقت حياته فترة الازدهار في كل مناحي الحياة ، فقد عاش من سنة ٢٤٦ إلى سنة ٣٢٨ أي ولد في عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ هـ = ٨٥٢ م = ٢٧٣ هـ = ٨٨٦ م) ومات في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ) " وقد لازم ابن عبدربه الأمراء: محمد بن عبدالرحمن الأوسط (٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) والمنذر بن محمد(٨٨٦ ـ ٨٨٨ م) وعبدالله بن محمد (٨٨٨ ـ ٩١٢م) وعبدالرحمن الناصر (٩١٢ ـ ٩٦١م) وكان معهم جميعاً شاعر البلاط ونديمه، وقال في غزوات الناصر وانتصاراته شعراً كثيراً وخصه بأرجوزة ذكر فيها كل سنة من مغازية على حدة، ولكن ليس في شعره ولا في عقده ما يدل على أنه شخصياً كان يشارك في الحروب أو يسهم فيها بنصيب"[١] .

وقبيل عهد محمد بن عبد الرحمن أي في عهد أبيه عبد الرحمن الأوسط تكاملت أسس الحضارة العربية في الأندلس ذلك أنه بعد أن استقر الإسلام في تلك البلاد ، واستقرت اللغة العربية التي هي لغة الإسلام ، واستقرت كذلك دعوة الإسلام إلى العلم والتعلم ـ بعد أن استقرت هذه الأسس الثلاثة من أسس الحضارة ضم إليها عبد الرحمن ـ فوق اهتمامه بعلوم الأوائل ـ أساساً رابعاً مادياً هو أساس العمران ببناء القصور وما تحويه من أساس ورياش كما أنه بنى " بقرطبة داراً للسكة وضرب الدراهم باسمه، وهو الذي وضع أساس الحضارة الأندلسية من وجهة تنظيم الحكم وضبط قواعده، إذا اتخذ مجلس وزراء جعل له رئيساً باسم الحاجب، وجعل له ولمرءوسيه من الوزراء بيتاً في قصره يجلسون فيه على فرش منضدة، وجعل الأمر شورى بينهم واختص كل منهم بشأن من شئون الدولة "[١] ثم كان أن انضم إلى ذلك كله جانب الفن المتمثل في وفود زرياب على قرطبة والذي نهض بالغناء والموسيقى ونشر في المجتمع أساليب راقية في الزي

وطرق المعيشة وترتيبات صنع الطعام وتنضيد الموائد ، وهكذا شمل الناس في هذا العهد أمن ورخاء.

أمـــا عهد عبد الرحمن الناصر فكان عهد ذروة النهوض الشامل حيث شـــاع الاســـتقرار واستتب الأمن ، وانتشرت الطمأنينة ، وأقبل الناس على أعمـــالهم فارتفع مستوى معيشتهم وزاد إيراد الدولة زيادة عظيمة ، وكانت نهضـــة العمران واسعة إذ " كان الناصر مولعاً بالبناء محباً للتشييد كما كان يعـــتقد أن البنـــيان يخلد ذكر الباقين ويبقى أسماءهم على الدهر ومن هنا تم فـــي عهده أروع ما عرفت الأندلس من قصور ومساجد ، ووصلت العاصمة القرطبـــية فـــي فترة الخلافة إلى أوج جمالها وأناقتها وعمرانها، فازدحمت بالقصـــور المشـــيدة وزينـــت بـــالحدائق العديدة وجملت بالنافورات الكثيرة وزودت بالحمامات الوفيرة" [٢].

وهكـــذا يمكنـــنا أن نقول في إيجاز إن حياة ابن عبد ربه الأندلسي قد تزامنـــت مـــع أزهـــى حياة الحضارة الإسلامية العربية في الأندلس، فليس عجيباً إذا أن يأتي الرجل مزيجاً من معطيات هذه الحضارة، وأن تتجلى هذه المعطيات ــ بعد ذلك ــ في كتابه العظيم "العقد الفريد" الذي لم يصل إلينا من آثـــاره ســـواه، وأن تتجلّى كذلك في فنه الشعري الرقراق الذي يتناوله هذا البحث.

وقد كان لابن عبد ربه شعر كثير، ولكن هذا الشعر الكثير أتت عليه يد الزمـــن، فضاع مع ما ضاع من تراثنا العزيز، ولم يبق منه إلا القليل، ولكن هـــذا القلـــيل الذي بقى لا يعد قليلاً في ذاته، وإنما يعد قليلاً بالنسبة إلى ما ضاع، فابن عبدربه كان صاحب ديوان ضخم يقع في أكثر من عشرين جزءاً غـــير أن هـــذا الديوان لم يصل إلينا ، يقول الحميدي (ت٤٨٨هـــ) عن شعر ابـــن عبد ربه:"وشعره كثير مجموع رأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر وفي بعضها بخطه"[١].

وإذا كان هذا الديوان الذي رأي منه الحميدي ــ الذي توفى بعد وفاة ابـــن عـــبد ربه بمائة وستين عاماً ــ نيفاً وعشرين جزءاً قد ضنّ الزمن به علينا فإن أشعاراً كثيرة لابن عبد ربه قد وصلت إلينا من خلال مصادر أخرى

مثل تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) ويتيمه الدهر للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) وجذوة المقتبس للحميدي (ت ٤٨٨ هـ) والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام(ت ٥٤٢ هـ) وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي (ت ٥٩٩ هـ) ومعجم الأدباء لياقوت (ت ٦٢٦) ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ)

ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى (ت ١٠٤١ هـ) والعقد الفريد لابن عبد ربه نفسه ، وغير ذلك من كتب التراث ، ولعل أكثر هذه المصادر ــ كما يبدو من خلال النظر فيها ــ اشتمالاً على شعر الرجل هو كتابه العقد الفريد ، ذلك الكتاب الضخم المحقق في ثمانية أجزاء ، والذي يحتل مكاناً بارزاً في المكتبة العربية ، ذلك أن ابن عبد ربه كان حريصاً على أن يجمل كتابه بالأشعار التي تناسب ما يضمه هذا الكتاب من أخبار وآثار كثيرة ومختلفة ، كما كان حريصاً أيضاً على أن يكون بعض هذه الأشعار ــ التي هي كثيرة في الكتاب من شعره هو بوصفه أندلسياً حتى يثبت أن أهل هذه البلاد لهم حظ في الشعر ــ وكذا النثر ــ لا يقل عن حظ المشارقة ، يقول ابن عبدربه عن تحليته الكتب (أو أبواب) كتابه بالشعر : " وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها ، وتوافقه في مذاهبها ، وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته ،وبلدنا على انقطاعه حظ من المنظوم والمنثور " [1].

وهذه الغرائب التي هي من شعر ابن عبدربه ، والتي قرنها بالأشعار الأخرى مثبوثه على امتداد موضوعات الكتاب ، ومتفرقة وسط الأشعار الكثيرة التي زخر بها كتاب العقد الفريد ، وهي أيضاً متناولة لشتي الأغراض الشعرية التي عرضها في كتابه ، والتي جاءت وفق الموضوعات التي يعالجها ، ويجئ الكثير منها في صورة أبيات متفرقات أو مقطعات مبعثرات أو قصائد يصل بعضها إلى نحو عشرين بيتاً ، وهكذا شغل شعر ابن عبد ربه حيزاً من كتابه الضخم.

فابن عبد ربه يتناول ــ مثلاً ــ موضوع السلطان ويورد فيه كثيراً من الأشـــعار التي تغطي جوانب الموضوع بكثير من الشعر من مثل قول الأفوه الأودي [١] :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم ســـادوا

والبيت لا يبتنى إلا له عمَـــد ولا عماد إذا لم ترس أوتـــاد

وإن تجمع أوتاد وأعمـــــــدة يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

ومن مثل قول أشجع بن عمرو في هيبة السلطان [٢]

منعت مهابتك النفوس حديثها بالشيء تكرهه وإن لم تعلـــم

ومن الولاة مفخم لا يتقـــي والسيف تقطر شفرتاه من الدم

ثم يورد ابن عبدربه لنفسه هذه الأبيات [٣]:

يا من يجرد من بصيرته تحت الحوادث صارم العزم

رعت العدو فما مثلت له إلا تفزع منك في الحلـــم

أضحى لك التدبير مطرداً مثل اطراد الفعل للاســـم

رفع الحسود إليك ناظره فرآك مطلعاً مع النجـــــم

ويتـــناول فيما يتصل بالسلطان موضوع الحجّاب ،ويورد فيه كثيراً من الأشعار من مثل قول العتابي [٤]:

حجابك ليس يشبهه حجاب وخيرك دون مطلبه السحاب

ونومك نوم من ورد المنايا فليس له إلى الدنيا إيـــاب

ثم يقول ابن عبدربه وقد قلت في ذلك [١] :

إذا كنت تأتي المرء تعظم حقـــه ويجهل منك الحق فالهجر أوسع

وفي الناس أبدال وفي الهجرراحة وفي الناس عما لا يواتيك مقنع

وإن امرءا يرضنى الهوان لنفسه خرى بجدع الأنف والأنف أشنع

ويقول بعد ذلك ، ومن قولنا في هذا المعنى [٢] :

ما بال بابك محروساً ببـــــواب يحميه من طارق يأتي ومنتاب

لايحتجب وجهك الممقوت عن أحد فالمقت يحجبه من غير حجاب

فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبـــه فإن وجهك طلسم على الباب

وفـــي كتاب الفريدة يتناول ابن عبد ربه الحرب ومدار أمرها ، ويورد أشعاراً لنفسه وأشعاراً لغيره على طريقته وتصل الأشعار التي يوردها لنفسه في هذا الكتاب إلى ستة وثمانين بيتاً تجئ موزعة على سبعة عشر موضعاً ، قد يكون في الموضع بيت واحد مثل قوله [٣] :

تراه في الوغى سيفاً صقيلاً يقلب صفحتي سيف صقيل

وقد يكون في الموضع بيتان مثل قوله في وصف الفرس :[٤]

ومقربة يشقر في النقع كمتها ويخضر حينا كلما بلها الرشح

تطير بلا ريش إلى كل صيحة وتسبح في البر الذي ما به سبح

وقد يكون في الموضع ثلاثة أبيات مثل قوله في القائد أبي العباس في الحرب [١] :

نفسي فداؤك والأبطال واقفـــة والموت يقسم في أرواحها النقما

شاركت صرف المنايا في نفوسهم حتى تحكمت فيها مثل ما احتكما

لو تستطيع العلا جارتك خاضعة حتى تقبل منك الكف والقدمـــا

وقـــد يكـــون في الموضع أربعة أبيات أو خمسة أو غير ذلك ، وأكثر المواضع جاء فيه تسعة عشر بيتاً منها قوله[٢]:

كم ألحم السيف في أبناء ملحمة ما منهم فوق متن الأرض ديار

وأورد النار من أرواح مارقة كادت تميز من غيظ لها النار

كأنما صال في ثنيي مفاضته مستأسد حنق الأحشاء هدار

وينبغـي أن نلحظ أن هذه الأشعار التي جاءت في صورة بيت أو بيتين أو ثلاثـة أو غـيرها ــ هي ــ كما يبدو من العرض ــ أجزاء من قصائد قد تكـون طويلة أو قصيرة ، ولكنها على كل حال تدل على كثرة شعر ابن عبد ربه في هذا المجال ، فهو مرة يقول :" ومن قولنا في القائد أبي العباس في الحرب " ومرة يقول :" ومن قولنا في رجال الحرب ".

ومرة يقول :" ومن قولنا في هذا المعنى ": وهكذا [1] ، وهذا يعني كما هو واضح أن هذا من قوله وليس كل قوله في هذا المجال أو ذاك.

وكـتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد أورد فيه ابن عبد ربه أشعاراً كثيرة تمدح الكرم وتذم البخل ، وتشيد بالجود رغم قلة الموجود وتعلي قدر العطية دون سؤال ، كما تستنجح الحوائج ، وتذكر الأخذ من الأمراء .... وهكـذا ، وأورد ابن عبد ربه لنفسه في هذا الباب اثنين وثلاثين بيتاً جاءت فـي سـبعة مواضع منها مثلاً قوله وهو يرغب في حسن الثناء واصطناع المعروف وغيره من مكارم الأخلاق [2] :

يا من تجلد للزمـــــا ن أما زمانك منك أجلـــد

سلط نهاك على هـــوا ك وعدّ يومك ليس من غد

والناس لا يبقى ســوى آثــارهم والعين تفقـــد

أوما سمعت بمن مضـى هذا يذم وذاك يحمـــد

المال إن أصلحتـــه يصلح وإن أفسدت يفســد

وقوله وقد سلك طريقاً لطيفة إلى استمناح أبي العباس القائد [3]:

الله جرد للنـــدى والباس سـيفاً فقلـده أبـا العـباس

ملك إذا استقبلت غرة وجهه قبض الرجاءُ إليك روح اليـاس

وجه عليه من الحياء سكينة ومحبة تجرى مع الانفاس
وإذا أحب الله يوماً عبده ألقي عليه محبة للناس

وقوله عندما سأل بعض موالي السلطان إطلاق محبوس فتلكأ فيه[١]:

حاشا لمثلك أن يفك أسيراً أو أن يكون من الزمان مجيرا
لبست قوافي الشعر فيك مدارعاً سودا وضلت أوجها وصدورا
هلا عطفت برحمة لما دعت ويلا عليك مدائحي وثبوراً
لو أن لؤمك عاد جوداً عشره ما كان عندك حاتم مذكورا

هذا وينبغي أن نشير إلى أن اختيارات ابن عبد ربه من شعره تكثر ـ في كتابه ـ في بعض الموضوعات عنها في غيرها ، وربما دل ذلك على أن هذه الموضوعات كان لها من الأثر في نفسه والسيطرة على عوالم شعوره وفكره ما ليس لغيرها من الموضوعات الأخرى ، فاختياره من شعره يكثر وهو يستنجز المواعيد ، فمثلاً عندما كتب له رجل بعدة في صحيفة ومطله بها قال فيه الشعر أكثر من مرة ، وأورد لنا ثلاث مقطوعات من الأولى ـ وقد جاءت في ستة أبيات ـ قوله [٢]:

صحيفة طابعها اللوم عنوانها بالجهل مختوم
يهدي لها والخلف في طيها والمطل والتسويف واللوم

ومن الثانية ـ وجاءت في خمسة أبيات ـ قوله [٣]:

صحيفة كتبت ليت" بها وعسى عنوانها راحة الراجي إذا يئسا
وعد" له هاجس في القلب قد برمت أحشاء صدري به من طول ما هجسا

أما الثالثة فهي قوله [١] :

رجاء دون أقربه السحاب ووعد مثل ما لمع السراب
وتسويف بكل الصبر عنه ومطل ما يقوم له حساب

وأيام خلت من كل خيـــر ودنيا قد توزعها الكلاب

ويرتـبط باستنجاز المواعيد عند ابن عبد ربه ذمه للزمان وشكواه من فسـاد الإخوان ، فهذه الأبيات الثلاثة الأخيرة أورد منها ابن عبد ربه البيتين الأول والثالـث مع ثلاثة أبيات أخرى وهو يذم زمانه ويورد ما قاله الحكماء والشـعراء فـي ذلـك [٢] كما أورد لنفسه أربعة وعشرين بيتاً ــ في ثلاثة مواضع ــ وهو يشكو فساد الإخوان وقلة الكرام ، فمن ذلك قوله [٣] :

أبا صالح جاءت على الناس غفلة علـى غفلـة ماتـت بكـل كـريم
فليت الألى بانوا يفادون بالألى أقـاموا، فـيفدي ظاعـن بمقـيم

وقوله [٤]:

ساق ترنح يشدو فوقه سـاق كأنـه لحنيـن الصـوت مشـتاق
يا ضيعة الشعر في بـُـلـه جرامقة [٥] تشـابهت مـنهم فـي اللؤم أخلاق
غلت بأعناقهم أيد مقفعـة لا بوركـت مـنهم أيـد وأعـناق
كأنما بينهم في منع سائلـهم وحـبس نـائلهم عهـد وميـثاق
كم سقتهم بأماديحى وقـدتهم نحو المعالي فما انقادوا ولا انساقوا

وواضـح أن استنجاز المواعيد وذم الزمان وشكوى فساد الإخوان تلتقي كلها ــ كما رأينا في هذه الأشعار ــ عند رغبة ابن عبد ربه في الحصول على المال ، فالرجل شاعر مداح يتكسب بشعره ويأسى لضيعة الشعر ولهؤلاء الذين يستبد بهم البخل ولا يعرفون لفن الشعر قدره .

وتكـثر اختـيارات ابـن عـبد ربه من شعره حين يتناول أمر الشيب والشـباب والخضاب ، فيورد لنفسه ستة وعشرين بيتاً من قصائد مختلفات موزعة وفق سياقات الكلام ، فنراه يقول : ومن قولنا الشيب[١].

بدا وضح المشيب على عذاري وهـل لـيل يكـون بـلا نهـار
شريتُ سواد ذا بياض هـذا فبدلـت العمامـة بالخمـار
وألبسني النهى ثوباً جديـداً وجردنـي مـن الـثوب المعـار
وما بعت الهوى بيعاً بشـرط ولا اسـتثنيت فـيه بالخـيار

ثم يقول: ومن قولنا فيه [٢]:

جار المشيب على رأسي فغيره　　لما رأى عندنا الحكام قد جاروا

كأنما جن ليل في مفارقـــه　　فإعتاقه من بياض الصبح إسفار

ويقول: ومن قولنا في الشباب[٣]:

ولى الشباب وكنت تسكن ظله ∴ فانظر لنفسك أي ظل تسكنُ

ونهى المشيب عن الصبا لو أنه ∴ يدلى بحجته إلى من يلقنُ [١]

ثم يقول ــ مرة أخرى ــ ومن قولنا في الشباب [٢] :

شبابي كيف صرتُ إلى نفاد　　وبدلـــت البـــياض مـــن الســـواد

وما أبقى الحوادث منك إلا　　كمـــا أبقـــت من القمر الدءادي (٣)

فراقك عرف الأحزان قلبي　　وفـــرق بيـــن جفنـــي والـــرقاد

فيا لنعيم عيش قد تولـــى　　ويـــا لغلـــيل حـــزن مســـتفاد

ويتبع ابن عبد ربه الحديث عن الشيب والشباب بالحديث عن الخضاب ثم يقول:

ومن قولنا في هذا المعنى [٤] :

اصمّم في الغواية أم أنابـــا　　وشـــيب الرأســـي قـــد أنضى الشبابا

إذا نصل الخضاب بكى عليه　　ويضـــحك كلمـــا وصـــل الخضـــابا

كأن حمامة بيضاء ظلـــت　　تقـــاتل فـــي مفارقـــة غـــرابـــا

وتكـــثر اختـــيارات ابـــن عبد ربه من شعره ــ كذلك ــ وهو يذكر أمر الموت والـــرثاء ، فهـــو حيـــن يذكـــر المـــوت يقـــول : ومـــن قولـــنا فـــي ذكـــر الموت [٥] :

من لي إذا جدت بين الأهل والولد　　وكـــان منـــي نحو الموت قيس يدي

والدمع يهمل والأنفاس صـــاعدة　　فـــالدمع في صبب والنفس في صعد

ذاك القضاء الذي لا شيء يصرفه　　حـــتى يفـــرق بيـــن الروح والجسد

ثم يقول : ومن قولنا فيه [١]:

أتلهو بين باطية وزيـــــر　　وأنـــت مـــن الهـــلاك علـــى شفير ؟

فيا من غره أمل طويـــــل　　يؤديـــه إلـــى أجـــل قصـــيـــــر

أتفرح والمنية كل يـــــوم　　تـــريك مكـــان قـــبرك فـــي القـــبور

هي الدنيا فإن سرتك يوماً ... فإن الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت منها ... كعارية ترد إلى المعير
وتعتاض اليقين من التظني ... ودار الحق من دار الغرور

وهو حين يذكر المراثي ، يذكر من رثى نفسه ووصف قبره وما يكتب على القبر، ويذكر كذلك من رثوا أولادهم ويورد في رثائه لولده سبعة وأربعين بيتاً جاءت في أربعة نماذج النموذج الأول منها جاء في أربعة أبيات وفيها يقول (٢):

بليت عظامي والأسى يتجدد ... والصبر ينفد والبكا لا ينفد
يا غائبا لا يرتجى لإيابه ... ولقائه دون القيامة موعد
ما كان أحسن ملحداً ضمنته ... لو كان ضم أباك ذاك الملحد
باليأس : أسلو عنك لا بتجلدي ... هيهات أين من الحزين تجلد

ثم يقول : ومن قولي فيه أيضا (١) :

واكبدا قد قطعت كبدي ... وحرقتها لواعج الكمد
ما مات حي لميت أسفا ... أعذر من والد على ولد
يا رحمة الله جاوري جدثا ... دفنت فيه حشاشتي بيدي

ويورد ستة عشر بيتاً ،"وبعدها يقول : وقلت فيه أيضاً ، ويورد تسعة عشر بيتاً مطلعها (٢):

قصد المنون له فمات فقيداً .·. ومضى على صرف الخطوب حميدا

ثم يقول : وقلت فيه أيضاً (٣):

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا ... ولا امتلا فرحاً إلا امتلا حزنا

ويورد ثمانية أبيات . وهكذا تمضى أكثر كتب (أو أبواب) كتاب العقد الفريد مشتملة على أشعار لابن عبد ربه .. أشعار تمثل شعر الأندلسى ، وتشهد بما للرجل من مكانة شعرية لا تقل عن مكانة الشعراء المشارقة .

حتى إذا وصل ابن عبد ربه إلى كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم تناول فيما تناوله في هذا الكتاب خلفاء بني أمية في الأندلس ، ومضى في الحديث عنهم حتى تحدث عن عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين وهو الملقب بالناصر فأشاد بذكره وقال [٤] :" ثم ولى الملك القمر الأزهر ، الأسد الغضنفر ، الميمون النقيبة ، المحمود الضريبة سيد الخلفاء، وأنجب النجباء ، عبدالرحمن بن محمد أمير المؤمنين صبيحة هلال ربيع الأول سنة ثلاثمائة فقلت فيه :-

بدا الهلال جديدا والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدي ما كان فيه مزيد

وهي عدة أبيات " وأشار إلى ما قاله هو وغيره في غزواته من أشعار ، قد جالت في الأمصار ، وأورد لنفسه بعض ما قاله في أول غزاة غزاها ، وهي الغزاة المعروفة بغزاة "المنتلون " والتي افتتح بها سبعين حصناً ، وفيها يقول ابن عبد ربه [١]:

قد أوضح الله للإسلام منهاجاً الناس قد دخلوا في الدين أفواجا
وقد تزينت الدنيا لساكنها كأنما ألبست وشياً وديباجا
يا بن الخلائف إن المزن لوعلمت بذاك ما كان منها الماء ثجاجا
والحرب لو علمت بأساً تصول به ما هجيت من حمياك الذي اهتاجا

ويورد في هذا الموقع ستة عشر بيتاً يتبعها بقوله :ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والإسلام ، ثم يذكر غزاة "مارشن " ويقول إنها كانت أخت بدر وحنين وأنه ذكرها في الأرجوزة التي نظمها في مغازيه كلها من ٣٠١ إلى ٣٢٢ هـ ، ويذكر من مناقب هذا الخليفة العظيم أنه بني في المدة القليلة ما لم تبن الخلفاء في المدة الطويلة وأنه أول من سمي أمير المؤمنين من خلفاء بني أمية في الأندلس ، ويؤكد على منقبة من مناقبه التي لا أخت لها ولا نظير، والتي أعجزت من بعده ، وفات فيها من قبله ، وهي الجود الذي لم يعرف لأحد من أجواد الجاهلية والإسلام إلا له، ثم يذكر من شعره في مدحه قوله [١]:

يا بن الخلائف والعلا للمعتلى والجود يعرف فضله للمفضل
نوهت بالخلفاء بل أخملتهم حتى كأن نبيلهم لم ينبل
أذكرت بل أنسيت ما ذكر الألى من فعلهم فكأنه لم يفعل
وأتيت آخرهم وشأوك فائت للآخرين ومدرك للأول
الآن سميت الخلافة باسمها كالبدر يقرن بالسماك الأعزل
تأبى فعالك أن تقر لآخر منهم وجودك أن يكون لأول

وتأتي بعد ذلك كله أرجوزة ابن عبد ربه التي ذكر فيها جميع مغازي الخليفة الناصر، وما فتح الله عليه فيها في كل غزاة فيقول في مستهلها (٢):

سبحان من لم تحوه أقطار ولم تكن تدركه الأبصار
ومن عنت لوجهه الوجوه فما له ند ولا شبيه
سبحانه من خالق قدير وعالم بخلقه بصير

ويمضي في حمد الله وتمجيده وشكره ثم يقول (٣):

أقول في أيام خير الناس ومن تحلى بالندى والبأس
ومن أباد الكفر والنفاقا وشرد الفتنة والشقاقا

ثم يذكر أول غزاة غزاها الناصر فيقول (١)

ثم انتحى جيان في غزاته بعسكر يسعر من حماته
فاستنزل الوحش من الهضاب كأنما حطت من السحاب
فأذعنت مراقها سراعا وأقبلت حصونها تداعي

وهكذا يستمر ابن عبد ربه في أرجوزته ذاكراً مغازي الناصر كلها من ٣٠١ ـ ٣٢٢ هـ كما سبق القول ، وتقع هذه الأرجوزة في مائتين وخمسة وأربعين بيتاً ، ومهما يكن شأنها في كونها نظماً لا يحفل بالفنية الشعرية ومهما يكن من قول أستاذنا د. احمد هيكل فيها إنها (٢) " أشبه ما تكون بالمنظومات التاريخية ، فليس فيها من عناصر الشعر شيء ومن الأنصاف للشاعر والشعر أن تعد في نتاجه التاريخي لا في ثرائه الفني" أقول مهما يكن من ذلك كله فهي تشهد بثقافة ابن عبد ربه الواسعة وإحاطته الجيدة

بوقائع التاريخ في عصره ، واهتماماته بما يشغل بال الأمة من أحداث كبرى ، كما تعبر عن تراثه اللغوي واقتداره على الإتيان بالمفردات في مواقعها ، وتبرز ـ كذلك ـ طول نفسه في فن النظم وسيطرته الكاملة على الإيقاع الموسيقي عبر منظومة سهلة وطويلة حفظت لنا جانباً مهماً من جوانب التاريخ الأندلسي ،وعبرت عن إعجاب الشاعر بالخليفة الناصر وحرصه على تخليد مآثره ونيل عطاياه وهو الخليفة العظيم والجواد المشهور الخليق بكل هذا الإعجاب.

بعد هذا التعرف على كثير من مواقع شعر ابن عبد ربه في عقده وبعد الإشارة إلى كثير من المصادر الذي وردت فيها أشعار لهذا الشاعر ، يمكننا أن نقول إن ما وصلنا من شعره ـ بغض النظر عن ديوانه الكبير المفقود ـ يمثل قدراً كافياً لأن ننظر فيه وأن نضعه في ميزان النقد لنرى ما قاله فيه النقاد القدامى والمحدثون . وإذا كنا في ذلك مخالفين لما يراه الأستاذ أحمد أمين من أن الحكم " الذي نصدره على ما بين أيدينا حكم ناقص يحتاج إلى استقصاء أكثر [1] فربما كان الأستاذ أحمد أمين أكثر طموحاً وأكثر رغبة في دقة الحكم من وجهة نظره ، ولكننا في ذلك نلتقي مع أستاذنا د. الطاهر أحمد مكي الذي يرى فيما ورد في العقد وفي يتيمة الدهر قدراً كافياً للحكم على شعر الرجل فيقول :" أورد هو في عقده بعضاً من شعره وروي له الثعالبي في " يتيمة الدهر " جزءاً كبيراً منه يصلحان لدراسته والحكم عليه شاعراً " [2]. ونلتقي كذلك مع د. عز الدين إسماعيل وهو يقول عن ابن عبد ربه :" ويقال إنه كان له ديوان كبير من الشعر ولكنه لم يصلنا. على أن القدر الذي ذكره لنفسه من شعر في العقد الفريد وكذلك ما أورده له الثعالبي في " اليتمية " يكفي للحكم على مقدرته الشعرية وعلى مدى تأثره ببيئة الأندلس اللينة الرقيقة "[3] .

وإذا كنا نعد الشاعر أول ناقد لشعره من خلال المراحل المتعددة التي يمر بها خلق القصيدة بصفة عامة ومن خلال مرحلة التنقيح والتهذيب بصفة خاصة، فإن ابن عبد ربه كان من غير شك أول الناقدين لشعره، ويبدو لنا من خلال طريقة إيراده لشعره في عقده أنه كان بعد أن يستقيم له

هذا الشعر ويرضي عنه يصبح معتزاً به وفخوراً بمستواه الفني ، فهو يقدمه للقارئ مساوقاً لأشعار كبار الشعراء وموازناً ـ أحياناً ـ بينه وبين هذه الأشعار التي أعجبته واختارها ليزين بها كتابه ويستشهد بها على ما جاء في هذا الكتاب من أخبار وآثار أو ليبين قيمة هذه الأشعار في مجالها الذي قيلت فيه ، أو يقرنها بشعره الذي يفضله على شعر غيره تفضيلاً واضحاً ، فهو كثيراً ما يورد الأشعار في موضوع من الموضوعات فيقول : وقال فلان، وقال فلان، ثم يقول ومن قولنا ، ومن قولنا، أو ومن قولنا في هذا المعنى[1]. ولا شك أنه يقول ذلك وهو فى حالة اعتداد بشعره ، وفخر به؛ ذلك أنه يضع هذا الشعر (شعره) على قدم المساواة مع الأشعار المتميزة الجياد وقد يفضل شعره صراحة فيقول مثلاً وهو يتحدث فى موضوع الصبر والإقدام فى الحرب : " وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم يتقدم عليه ، ومعنى بديع لا نظير له فمن ذلك قولنا (ويورد لنفسه هذه الأبيات):

وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا ... يعب عبابا من قنا وقنابل
فتنزل أولاه وليس بنازل ... وترحل أخراه وليس براحل
ومعترك ضنك تعاطت كماته ... كئوس دماء من كلى ومفاصل
يديرونها رحا من الروح بينهم ... بيض رقاق أو بسمر ذوابل
وتسمعهم أم المنية وسطها ... غناء صليل البيض تحت المناصل(٢)

ويقول بعد أن يورد معنى تناوله عدد من الشعراء :" وقد قلنا في هذا المعنى ما هو أحسن من كل ما تقدم أو مثله ، وهو قولي :

كأن التي يوم الوداع تعرضت ... هلال بدا محقاً على أنه تم"[1]

وقد يسمع ابن عبد ربه مقالة تعجبه فيهجم على معناها ويصوغها شعراً جميلاً فهو يقول في عقده ، وهو بصدد الحديث عن القناعة :

" وقال الحسن : ابن آدم لست بسابق أجلك ، ولا ببالغ أملك ولا مغلوب على رزق ، ولا بمرزوق ما ليس لك ، فعلام تقاتل ؟

قال ابن عبد ربه: قد أخذت هذا المعنى فنظمته في شعري فقلت :

لست بقاض أملي ولا بعاد أجلي
ولا بمغلوب على الرزق الذي قدر لي
ولا بمعطي رزق غيري بالشقا والعمل
فليت شعري ما الذي أدخلني في شغل "(٢)

ويقول ابن بسام في ذخيرته :" دخل على الخليل بن أحمد وهو على نمرقة صغيرة بعض إخوانه فرحب به الخليل وأجلسه معه في مكانه ، فقال الرجل ، إنها لا تحملنا فقال له الخليل : ما تضايق سم الخياط لمحبين ، ولا اتسعت الدنيا بمتباغضين . فسمع ابن عبدربه هذا فقال :-

صل من هويت وإن أبدي معاتبة فأطيب العيش وصل بين خلين
واقطع حبائل خل لا تلائمه فربما ضاقت الدنيا باثنين"[١]

وابن عبدربه يؤثر اللفظ السهل والكلام الحسن ولذا نراه وهو يذكر أمر الغريب والتقعيب (تقعير الكلام)

يقول : ومن قولنا نمدح رجلاً باستسهال اللفظ وحسن الكلام:

قول كأن فريده سحر على ذهن اللبيب
لا يشمئز على اللسان ولا يشذ عن القلوب
لم يغل في شنع اللغات ولا توجس بالغريب
هذا تجذ به الرقاب وذا تجذبه الخطوب "(٢)

وعندما أورد أشعاراً في رقة التشبيب قال [٣]:" ومن الشعر المطبوع الذي يجري مع النفس رقة ، ويؤدي عن الضمير إبانه مثل قول العباس بن الأحنف " .

وأورد أشعاراً للعباس بن الأحنف ، وبشار بن برد وجميل بن معمر ، وعمر بن أبي ربيعة ، ثم قال [٤] :" ومن قولنا في رقة التشبيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ما تقدم ذكره :

صحا القلب إلا خطرة تبعث الأسى لهـا زفـرة موصـولة بحنيـن
بلى ربما حلت عرى عزماتـه سـوالف آرام وأعيـن عيـن
لواقط حبات القلوب إذا رنـت بسـحر عـيون وإنكسـار جفـون

ثم يقول ابن عبد ربه[1] :" ومما عارضت به صريع الغواني في قوله :-

أديرا على الراح لا تشربا قبلي ولا تطلبا مـن عـند قاتلتي نحلي
فيا حزنى أنى أموت صبـابة ولكـن علـى مـن لا يحل له قتلى
فديت التى صدت وقالت لتربـها دعـيه ، الثريا منه اقرب من وصلى

فقلت على رويه :

اتقتلنى ظلماً وتجحدنى قتـلى وقـد قام من عينيك لى شاهدا عدل
أطلاب نحلى ليس بى غير شادن بعينـيه سـحر فاطلبوا عنده نحلى
أغار على قلبي فلما أتيتـه أطالـبه فـيه أغـار على عقلـي
بنفسي التي ضنت برد سلامها ولـو سـألت قـتلى وهبت لها قتلى

..... الـخ الأبـيات " ثم يقول : فمن نظر إلى سهولة هذا الشعر ، مع بديع معـناه ورقة طبعه ، لم يفضل شعر صريع الغواني عنده إلا بفضل التقدم ، ولا سيما إذا قرن قوله في هذا الشعر :

كتمت الذي ألقي من الحب عاذلي فلم يدر مابي، فاسترحت من العذل

بقولي في هذا الشعر :

وأحببت فيها العذل حباً لذكـرها فلا شيء أشهى في فؤادي من العذل

ثم يقول ابن عبد ربه :" ومن قولنا في رقة التشبيب وحسن التشبيه:

كم سوسن لطف الحياء بلونه فأصـاره ورداً علـى وجـناته

ومثله :

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقـاً ورشـا بتقطـيع القلـوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله درا يعـود مـن الحـياء عقـيقا

ونظـير هذا من قولنا في رقة التشبيب وحسن التشبيه والبديع الذي لا نظير له ، والغريب الذي لم يسبق إليه :

حوراء داعبها الهوى في حور حكمت لواحظها على القدور

نظرت إلى بمقلة أدمانـــــه وتلفتت بسوالف اليعفـــور

فكأنما غاص الأسى بجفونهـا حتى أتاك بلؤلؤ منثـــور

ونظير هذا من قولنا :

أدعو إليك فلا دعاء يسمـــع يا من يضر بناظريه وينفع

للورد حين ليس يطلع دونـــه والورد عندك كل حين يطلع

لم تنصدع كبدي عليك لضعفها لكنها ذابت فما تتصـــــدع

من لي بأجرد ما يبين لسانـــه خجلاً وسيف جفونه ما يقطع

منع الكلام سوى إشارة مقلـــة فبها يكلمني وعنها يسمـــع

ومثله :

جمال يفوت الوهم في غاية الفكر وطرف إذا ما فاه ينطق بالسحـــر

ووجه أعار البدر حلة حاســد فمنه الذي يسود في صفحة البدر

وهكـــذا حين نتتبع تعقيبات ابن عبد ربه على بعض أشعاره نجده واثقاً من نفسه معتداً بشعره ، يقوم هو على تقويمه ، ولا يصطبر حتى يقول ناقد رأيه فيه ، فهو في تقديره شعر مطبوع يجرى مع النفس رقة ، ويؤدي عن الضـــمير إبانـــة ، وهـــو شعر يتسم بالسهولة ، ويتضمن المعاني البديعة ، ويشـــف عـــن الطبع الرقيق ، كما أنه حسن التشبيهات ، بديع لا نظير له ، وغريب لم يسبق إليه ، ولا يتفوق عليه من أجادوا من الشعراء السابقين إلا بفضـــل التقدم ، وذلك إذا عد هذا التقدم سبيلاً إلى التفضيل ، ولكن ابن عبد ربـــه نفســـه لا يرى في التقدم إلى التفضيل سبيلاً ذلك أنه يقول : [1] " اعلم بـــأنك مـــتى ما نظرت بعين الإنصاف وقطعت بحجة العقل علمت أن لكل ذي فضل فضله ولا ينفع المتقدم تقدمه ، ولا يضر المتأخر تأخره ".

وكمـــا أثـــنى القدماء على شعر ابن عبد ربه بالكثرة أثنوا عليه كذلك بـــالجودة ، إذ لم نقع على قول لناقد أو عالم يسم هذا الشعر بالقلة أو يحط مـــن قيمـــته الفنية ، فالرجل إذا كما يبدو لنا من أقوال القدماء شاعر مكثر

وشـــاعر مجـــيد ، وربما كانت شهادة أبي الطيب المتنبئ (ت ٣٥٤ هـــ) ــ بوصفه شاعر العربية الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ــ أعظم شهادة يمكن أن توضع في ميزان النقد لصالح الشاعر ابن عبد ربه ، إذ يروى[٢] :

: أن الخطيـــب أبا الوليد بن عسال حج ، فلما انصرف تطلع إلى لقاء المتنبـــي واستشرف ، ورأى أن لقيته فائدة يكتسبها ، وحلة فخر لا يحتسبها (ليســـت فـــي حســـبانه) فصـــار إليه فوجده في مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلاً ثم قال: ألا أنشدني لمليح الأندلسي يعني ابن عبد ربه فأنشده:

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقـــــا ورشا بتقطيع القلوب رفيقـــــا

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله وردا يعود من الحياء عقيقـــــا

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا

يا من تقطع خصره من ردفـــه ما بال قلبك لا يكون رقيقـــــا

فلمـــا استكمل إنشاده ، استعادها منه ، ثم صفق بيديه ، وقال : يا ابن عبد ربه ، لقد يأتيك العراق حبوا "

ولا شك أن شعراً يصفق له المتنبي لابد أن يكون على أعلى مستويات الأداء الفنـــي ، فـــأهل الصنـــعة أدرى بأسرارها والمتنبي كما نرى لم يعلل لجـــودة الشعر الذي بهره فجعله يصفق بيديه ، ويقول عبارته المؤكدة لهذا الانبهار وهي " يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبواً " ولا ندري كيف يأتيه العراق حبواً على وجه التأكيد ، ولكنا ندري دلالة العبارة ، وهي أن المتنبي مـــأخوذ بهذا الشعر بل ومفتون بسحره الفني إلى أبعد مدى وحسب ابن عبد ربه بهذا شرفاً .

والثعالبـــي (٤٢٩ هـــ) الذي تتردد في كتابه " يتيمة الدهر " نظرات نقديـــة لطيفة ، عندما يذكر شعر ابن عبد ربه يقول[١]: " وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة ".

ويجعل ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) ابن عبد ربه الشاعر البارز في الأندلس فيقول :" وهو شاعر الأندلسي وأديبها كتب الناس عنه تصنيفه وشعره " ولا أظنه يذكره كذلك إلا إذا كان شاعراً مبرزاً وأديباً متميزاً .

والحميدي (ت ٤٨٨ هـ) يذكر كثرة شعر ابن عبد ربه ويذكر أنه رأى منه نيفاً وعشرين جزءاً ، ويشير إلى مناقبه العلمية والأدبية والدينية ، وما كان لأمره من ذيوع ثم يقول [٢]: " إلا أنه غلب عليه الشعر" فإذا كان الرجل قد حظى لدينا بالمكانة السامية بكتابه " العقد الفريد " فكيف به لو وصل إلينا شعره كله الذي غلب عليه والذي ـ كما هو واضح من كلام الحميدي ـ شكل القسط الأوفر من حياته الأدبية . إن سمة الشاعرية لابد أن تكون هي السائدة ـ بناء على كلام الحميدي ـ لدى ابن عبد ربه في عصره ، ولكن ما بقي لنا وخلده على الزمن هو كتابه " العقد الفريد " .

ويكتفي الضبي " (ت ٥٩٩ هـ) تقريباً ـ بأن ينقل ، ويؤكد ما قاله الحميدي في شأن ابن عبدربه .[٣]

ويقول ابن خلكان عن شعر ابن عبد ربه [١]:" وله ديوان شعر جيد" ويورد نماذج من شعره ثم يقول :" وله غير ذلك في كل معنى مليح".

ويقول الحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام [٢] :" وشعره في الذروة العليا " ويقول المقري (٩٨٦ ـ ١٠٤١)هـ بعد أن أثنى على ابن عبد ربه ثناء عاطراً في عبارة مسجوعة [٣] :" وله شعر انتهى منتهاه وتجاوز سماك الإحسان وسماه ".

والذي يطالع كتاب الذخيرة لابن بسام (ت ٥٤٢ هـ) يلحظ أن المختارات الشعرية التي وردت منسوبة لابن عبد ربه تحتل موقعاً يبرز قيمتها الفنية بالنسبة للأشعار الأخرى ، فشعر ابن عبد ربه مقروء لدى الشعراء وهم متأثرون به في عطائهم الفني ، وقد يضيفون إليه شيئاً جديداً فهو يقول مثلاً [٤] : إن بيت الرمادي الذي يقول فيه :

ولم أر أحلى من تبسم أعين غداة النوى عن لؤلؤ كان كامنا

هو من قول ابن عبد ربه :

وكأنما غاص الأسى بجفونها حتى أتاك بلؤلؤ منثور

فاحتال الرمادي حتى أتى باللؤلؤ ، وعوّض من الغائص التبسم ، ووقعت استعارة التبسم للعين موقعاً لطيفاً ، وإنما هو للثغور بسبب توسط اللؤلؤ الذي هو للعيون والثغور فنسخ المعنى نسخاً وقلبه قلباً "

وعندما يتحدث ابن بسام في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن سليمان بن الخياط الكفيف ، ويسوق جملة من نثره ونظمه ، ويورد في أبياته التي يختتم بها بعض رسائله قوله : (١)

إذا انتضى سيفه معلماً لم تدر أيهما الصارم

يورد قول ابن عبد ربه :

إذا أدارت بنانه قلما لم تدر للشبه أيها القلم

وأيضاً عندما يذكر ابن بسام الأديب أبا المطرف عبد الرحمن بن فتوح ويثبت جملة من شعره في الغزل والمديح يورد قوله (٢):

نشر الغمام رداءه فتقنعت خجلاً به للناظرين ذكاء

فكأنه ستر تشير بمقلة مطروفة من خلفه عذراء

وكأنه إذ مده من تحتها سر تضيق بكتمه الظلماء

ثم يقول وهذا كقول ابن عبد ربه :

نهار لاح في سربال ليل فما عرف الرواح من البكور

وعين الشمس ترنو من بعيد رنو البكر من خلف الستور

فابن عبد ربه إذن سباق إلى المعاني اللطيفة والصور الطريفة يحذو الشعراء حذوه، ويقتفون أثره، حتى وإن كان هو قد تأثر من قبله ووقع على معناه وتصويره ، فابن بسام يقول بعد ذلك ــ وابن المعتز القائل قبلها:

تظل الشمس ترمقنا بطرف خفي لحظه من خلف ستر

تحاول فتق غيم وهو يأبى كعنين يحاول نكح بكر

ولكن صورة ابن المعتز هذه ــ في تقديرنا ــ فيها إقذاع وخدش للحياء وأجمل منها ، ومن صورة ابن فتوح صورة ابن عبد ربه " رنو البكر من خلف الستور ".

وقد كان ابن عبد ربه حاضر البديهة سريع الجواب يجري الشعر على لسانه في سهولة ويسر ، ويحكي لنا المقري شيئاً من ذلك فيقول[1] :" ومن سرعة جواب أهل الأندلس أن ابن عبد ربه كان صديقاً لأبي محمد بن يحي القلفاط الشاعر ففسد ما بينهما بسبب أن ابن عبد ربه صاحب العقد مر يوماً وكان في مشيته اضطراب .

فقال: يا أبا عمر ما علمت أنك آدر إلا اليوم لما رأيت من مشيتك فقال له ابن عبد ربه : كذبتك عرسك أبا محمد فغز على القلفاط كلامه وقال له: أتتعرض للحرم ؟ والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها :

يا عرس أحمد إني مزمع سفراً .·. فودعيني سراً من أبي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك ، وكان القلفاط يلقبه بطلاس لأنه كان أطلس اللحية، ويسمى كتاب العقد حبل النوم ، فاتفق اجتماعهما يوماً عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط : كيف حالك اليوم مع أبي عمر فقال مرتجلاً :

حال طلاس لي عن رائه وكنت في قعدد أبنائه

فبدر ابن عبد ربه وقال :

إن كنت في قعدد أبنائه فقد سقى أمك من مائه

فانقطع القلفاط خجلاً "

ومر ابن عبد ربه في قرطبة بقصر أبي حفص عمر بن قلهيل الكاتب فسمع غناء أذهب لبه وألهب قلبه ، وكان هذا الغناء لمصابيح جارية أبي حفص التي أخذت الغناء عن زرياب فوقف ابن عبد ربه تحت القصر يتسمع وبينما هو كذلك إذ رش بماء من فوق ، ولم يعرف من فعل ذلك ، فمال إلى مسجد قريب من المكان واستدعى بعض ألواح الصبيان وكتب على الفور إلى مولاها :

يا من يضن بصوت الطائر الغرد ... ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة ... أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلده ... صوتاً يجول مجال الروح في الجسد
لو كان زرياب حيا ثم أسمعه ... لذاب من حسد أو مات من كمد
أما النبيذ فإني لست أشربه ... ولست آتيك إلا كسرتي بيدي

فخرج أبو حفص حافياً لما وقف على ذلك وأدخله إلى مجلسه وتمتع من سماعها .[1]

أما باحثو العصر الحديث فيختلفون في تقويم شعر ابن عبد ربه ، فالمرحوم الأستاذ . أحمد ضيف يرى في ابن عبد ربه صانع شعر ، محباً للكلام الجميل ولكنه لم يخلق شاعراً ، وإنما جاءه الشعر من كثرة الحفظ ، ومع ذلك فهو لا يملك إلا أن يصف شعره في الغزل والوصف بأنه من أرق الشعر المعروف في ذلك ، ويصف الرجل برقة الذوق وحسن الديباجة .

يقول في كتابه " بلاغة العرب في الأندلس " [2] والحق أن مقطوعاته الشعرية في الغزل والوصف من أرق الشعر المعروف في ذلك وأحسنه، وأجمل شعره في هذا النوع ، وكل هذا من قبيل الصناعة وحب الكلام الجميل، لأنه كان من الذين يميلون إلى قول الشعر ونظم الكلام لا ممن خلقوا شعراء وإنما جاءه الشعر من كثرة حفظه واطلاعه وامتلائه بأقوال الشعراء، وكان بطبيعته ميالاً إلى الرقة فانحدر إلى قول الشعر الرقيق وأغرب بعض الإغراب فيه ككثير ممن يسميهم الأدباء شعراء ، فهو رقيق الذوق حسن الديباجة ".

والمرحوم الأستاذ أحمد أمين يراه مقيداً نفسه بموضوعات الشعر الشرقية ، وبحور وقوافي الشعر المأثورة ، كما يراه يعارض المشارقة ويأخذ معانيهم ويزيد عليها أو يختار لنفسه فى كل نوع من الشعر إماما مشرقيا ، فهو شاعر لم يتحرر ، ولم يصغ الى قلبه فقط ، وموشحاته التى هى جديدة عن المشرق يقول عنها إنه يقلد فيها من سبقه من الوشاحين الأندلسيين ، ولكنه لا يلبث أن يقرر أن حكمه عليه ناقص لأن الحكم الكامل يحتاج إلى استقصاء أكثر لشعره ، ثم هو لا يلبث أيضاً أن

يحكم بأن شعره العاطفي من غزل وزهد وهجاء شعر جيد العاطفة قوي الخيال رصين الأسلوب ، وإن كانت له بعض السقطات ويقرر أن معانيه لطيفة جيدة ، وأن مديحه متكلف ، وأخيراً يضعه في الطبقة الثانية بالنسبة للشعراء المجيدين ، يقول أحمد أمين في ظهر الإسلام [١] :

" وله جملة من الشعر في العقد وفي يتيمه الدهر، وفي تاريخ ابن الفرضي ، فنراه في شعره مقيداً نفسه بموضوعات الشعر الشرقية لا يخرج عنها ، وببحور الشعر المأثورة وقوافيه لا يخرج عنها أيضاً ، ونراه يعارض المشارقة ويسير في ركابهم ، ويجتهد ما استطاع أن يأخذ معانيهم ويزيد عليها ، ويختار في كل نوع من الشعر إماماً من المشارقة فطوراً إمامه صريع الغواني ، وطوراً أبو نواس ، وطوراً أبو العتاهية وغيرهم ٠ لم يتحرر تحرراً كافياً ، ولم يصغ إلى قلبه فقط ٠ وقد روي أن له شيئاً جديداً عن المشرق هي موشحاته ، ولكنه أيضاً يقلد فيها من سبقه من الوشاحين الأندلسيين ، ولعل له شعراً يستقل فيه بنفسه لم يصل إلينا ، إذ كان له كما يقولون ديوان شعر كبير يتألف من أجزاء ، فحكمنا الذي نصدره على ما بين أيدينا حكم ناقص يحتاج إلى استقصاء أكثر ٠ أما ما بين أيدينا فشعره العاطفي من غزل وزهد وهجاء شعر جيد العاطفة قوي الخيال ، رصين الأسلوب ، وإن كان يسقط أحياناً في بعض أساليبه أو بعض ألفاظه ، فكلمة " مقلة " بدل " عين" ليست كلمة شعرية ، وبعض الكلمات قسرت قسراً على أن تكمل القافية ٠ ومعانيه لطيفة جيدة٠ أما كلامه في المديح فمتكلف ليس فيه عاطفة ، إنما هو صادر عن رغبة في عرض من أعراض الدنيا٠ وأرجوزته ليست بذات خطر شعري ٠ وأظن أننا لو عددناه من الطبقة الثانية في الشعراء أجمعين لم نعد الصواب ، ونعني بالطبقات تقسيم الشعراء حسب الجودة لا حسب التواريخ ، وأجودهم أعلاهم ، وأيًا ما كان فقد أفسح المجال لمن يأتي بعده أن يحتذى أو يفوق عليه " ٠

وقد كان أستاذنا د٠ أحمد هيكل ــ وهو شاعر وناقد ــ أكثر باحثي العصر الحديث ــ فيما نعلم ــ احتفاء بشعر ابن عبد ربه ــ وقد أنصف الرجل إنصافاً واضحاً، ووضع شعره ــ جملة ــ في ميزان النقد فقرر[١]

:"أن شـــعر ابن عبد ربه لا يلتزم اتجاهاً واحداً من تلك الاتجاهات التي كانت معـــروفة في عهده ، وإنما هو شعر يسير في أكثر تلك الاتجاهات، ولكن بلا فقدان لشخصية الشاعر أو انمحاء لملامحه الخاصة ، بل مع ظهور شخصية متميزة ذات ملامح واضحة"

والاتجاهـــات التـــي كانت معروفة في الشعر العربي زمن ابن عبد ربه هـــي : الاتجاه المحافظ الذي يأخذ نفسه بالتقاليد الشعرية الموروثة والاتجاه المحـــدث الـــذي تزعمه أبو نواس والذي خرج بالشعر العربي عن كثير من تقاليده ، والاتجاه المحافظ الجديد الذي زاوج بين الاتجاهين السابقين فجاء محافظـــاً مـــن جانـــب ومجدداً من جانب فحافظ على منهج القصيدة ولغتها وموســـيقاها ، وعلـــى روحهـــا وأخلاقـــياتها إلى حد كبير ، ولكنه جدد في المعانـــي والصـــور ثـــم في الأسلوب والجماليات بدرجة بالغة ثم هناك أيضاً الاتجاه الشعبي المتمثل في الموشحات [٢].

وكل هذه الاتجاهات كان لابن عبد ربه فيها نصيب ذلك أنه " شاعر قد مـــد الله فـــي أجله فعاصر مدارس عدة وشاهد اتجاهات مختلفة ، ثم هو قد كـــان رجلاً محباً للقراءة مكثراً من تتبع الأساليب ، ومن هنا كانت حصيلته الأدبـــية غنية ومعرفته بكل الاتجاهات دقيقة ، فإذا صادف ذلك طبعاً متخيراً وملكـــة متحررة ، كانت النتيجة تنقلاً بين كل الأغصان وتغريداً لكل الألحان " [١].

ومـــا كـــان لشعر ابن عبدربه بسبب سيره في كل الاتجاهات أن يخفي شخصـــيته ، أو يمحو ملامحه ، ولكن هذا الشعر قد اتسم بسمتين واضحتين كما يقول أستاذنا د. هيكل [٢]:" هما : البساطة والغنائية فأكثر شعره تتضح فيه بساطة الفكرة بحيث لا تظهر فيها محاولة لتعقيد أو تركيب أو تفلسف . كذلـــك أكـــثر صـــوره الشعرية تبدو بسيطة بحيث يسهل إدراكها وتوشك أن تلمـــس وتحـــس . وألفاظه أيضاً تأتي جلية واضحة ، بحيث لا تحتاج غالباً إلى تفسير، وكذلك أسلوبه يبدو بسيطاً سهلاً ، ويبلغ من السهولة أحياناً أن يذكر جزء من البيت فيوشك أن يكمله السامع".

لكـــنه يســـتدرك أن تلـــك البساطة لم تكن دائماً مصدر جمال في شعر الـــرجل إذ قـــد يتمادى فيها فتستحيل ــ أحياناً ــ إلى سطحية أو تفاهة مثل قوله في مدح الأمير المنذر بن محمد :

بالمنذر بن محمـــــــــــد شـــــــرفت بـــــــلاد الأندلـــــــس
فالطير فيها ســـــــــاكن والوحـــــش فـــــيها قـــــد أنـــــس

أما سمة الغنائية فيعني بها أستاذنا د. هيكل غنائية الجانب الموسيقي ،واتضـــاح العنصـــر العاطفـــي ، وشيوع الرقة والسلاسة ، لا تلك الغنائية ، بمعـــناها العـــام التـــي يـــراد مـــنها كل الشعر ما عدا شعر الملاحم والشعر التمثيلـــي، فأكـــثر شـــعر ابـــن عبد ربه تشيع فيه تلك الغنائية بهذا المعنى الخـــاص، فتصبح مصدر حرارة شعرية له ، ومبعث إيحائية فنية فيه ، فهو على قدر ما يحظى من تلك الغنائية يقوى وإن هي ضعفت فيه ضعف .(١).

ويدفع أستاذنا د. هيكل أحكاماً أصدرها بعض الباحثين على شعر ابن عـــبد ربـــه ، فهو يرى أن المرحوم الأستاذ أحمد ضيف قد جانب الدقة حين قـــال في شعر ابن عبد ربه إنه كان " من قبيل الصناعة وحب الكلام الجميل لأنـــه كـــان يميل إلى قول الشعر ونظم الكلام ، لا ممن خلقوا شعراء " ذلك " لأن ابن عبد ربه صاحب هذا الشعر المطبوع الذي رأينا بعض نماذجه والذي قـــيل إنه جمع في نيف وعشرين مجلداً ــ لا يمكن أن يتصور رجل صناعة وحب للكلام الجميل كما لا يمكن أن يسلم بأنه ليس من الشعراء الموهوبين " .(٢)

كمـــا أنـــه لا يطمئن إلى قول المرحوم الأستاذ أحمد أمين في ابن عبد ربـــه : إنه يسير في ركاب المشارقة ،" ويجتهد ما استطاع أن يأخذ معانيهم ويـــزيد عليها ، ويختار في كل نوع من الشعر إماماً من المشارقة ، فطوراً إمامه صريع الغواني ، وطوراً أبوالعتاهية ، وغيرهم ، لم يتحرر تحرراً كافياً ولـــم يصـــغ إلـــى قلبه فقط " وذلك لأن ابن عبد ربه لم يكن يسير في ركاب المشـــارقة ، وإنما كان يعارضهم ، ويهدف إلى التفوق عليهم ، وكان دافعه

إلى ذلك ثقافة أدبية واسعة ، وطبع فني أصيل ، وروح أندلسي طموح متفق مع اتجاه عصره ! إذ كان الأندلسيون بصفة عامة حريصين على تأكيد ذواتهم منافسين للمشارقة في كل مجال وكان شأن ابن عبد ربه كذلك يحاول التفوق ما استطاع ، ولم يتخذ لنفسه إماماً مشرقياً ، ولم يلتزم مذهباً معيناً ، ولكنه سار في كل الاتجاهات ، وأصغى إلى قلبه في كل ما قال .

ولا يسلم ـ كذلك ـ أستاذنا د. هيكل بقول المستشرق الإسباني الأستاذ " بالنثيا " Palencia :

" إنه كان شاعر بلاط فقط ولم يكن ذا شاعرية ممتازة " بل يقول[1] :" الحق أن ابن عبد ربه لم يكن شاعر بلاط فقط وذلك لأن له بجانب شعره في بني أمية الأندلسيين أشعاراً كثيرة في شتى الأغراض ، والحق أيضاً أن شعره الذي بين أيدينا يدل على شاعرية ممتازة ".

والذي يبدو لنا من خلال التأمل الطويل في شعر ابن عبدربه أن الرجل يتمتع بشاعرية مقتدرة ، وأنه يجيد قول الشعر في أغراضه المختلفة ـ ولو رجعنا إلى أشعاره في " العقد" فقط لوجدنا فيها الدليل والغناء ، ولكن تفوقه يبدو أكثر ما يكون ـ فيما نرى ـ في غرضي الغزل والزهد ، إذ إن شعره فيهما يصل إلى قلب المتلقي بدون استئذان فيثير شواجن العشاق والمحبين ، ويحرك مواجيد العباد والزاهدين ، ولنا أن نتأمل قوله في الغزل [2]:

ودعتني بزفرة واعتناق ... ثم قالت: متى يكون التلاقي ؟
وتصدت فأشرق الصبح منها ... بين تلك الجيوب والأطراق
يا سقيم الجفون من غير سقم ... بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفرق أفظع يوم ... ليتني مت قبل يوم الفراق

وقوله [1]:

كشف الحجاب عن الضمائر ... طرف به تبلى السرائر
يرنو فيمتحن القلو ... ب كأنه في القلب ناظر
يا ساحراً ما كنت أعـ ... ف قبله في الناس ساحر

أقصيتني من بعد ما أدنيتني فالقلب طائر

وقوله :[٢]

ياذا الذي خط الجمال بخده خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندي أن لحظك صارم حتى لبست بعارضيك حمائلا

وقوله [٣]:

الجسم في بلد والروح في بلد يا وحشة الروح ، بل يا غربة الجسد
إن تبك عيناك لي ، يا من كلفت به من رحمة فهما سهماك في كبدي

ولنا أن نتأمل ـ قوله في الزهد [٤]:

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع عليها ولا اللذات إلا مصائب
وكم أسخنت بالأمس عيناً قريرة وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة على ذاهب منها فإنك ذاهب

وقوله : [١]

أتلهو بين باطيه [٢] وزير وأنت من الهلاك على شفير
فيا من غره أمل طويل به يردى إلى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم تريك مكان قبرك في القبور
هي الدنيا وإن سرتك يوماً فإن الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت فيها بعارية ترد إلى معير
وتعتاص اليقين من التظني ودار الحق من دار الغرور

وقوله [٣]:

من لي إذا جدت بين الأهل والولد وكان مني نحو الموت قيس يدي
والدمع يهمل والأنفاس صاعدة فالدمع في صبب والنفس في صعد
ذاك القضاء الذي لا شيء يصرفه حتى يفرق بين الروح والجسد

وهكذا يبدو لنا شعره في هذين الغرضين سهلاً في عبارته ، سائغاً في بنائه ، عفوياً في أدائه لا تبدو عليه أية سمة من سمات الافتعال أو

التصنع، يتجلى فيه صدق العاطفة وجلاء المعنى، والقدرة العالية على التوظيف الفني للغة مع التنويع في الايقاعات والسيطرة عليها دون أية ندوات .

ولا شك أن الغزل والزهد غرضان متباعدان قد نستنكر اجتماعها لدى شاعر واحد فضلاً عن تفوق شاعر واحد فيهما وضربه في كل منهما بسهم وافـــر ، ذلـــك أن أولهما يصدر عن إجلال عريض للحب والجمال واستمتاع واســـع بالحياة ، وثانيهما يصدر عن صدوف عن ملذات الحياة ومغرياتها ، وبـــيع للدنيا بالآخرة . وهذان الجانبان كان لهما في حياة ابن عبد ربه شأن كبـــير ، ذلك أن الرجل كما يبدو من بعض شعره ، وبعض ما جاء في عقده قد لها وشرب وطرب وانتصر للغناء والموسيقى فهو الذي يقول :

ديننا في السماع دين مديني وفـــي شـــربنا الشـــراب عراقـــي

يعنـــي أنه ينهج نهج أهل المدينة في جواز الغناء والألحان ، ونهج أهل العراق فـــي جـــواز شـــراب النبيذ . وهو الذي يقول في عقده وقد أفرد كتاب الياقوتة الثانـــية لعلـــم الألحان واختلاف الناس فيه [1]" وكرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشـــتماله علـــى فنون الآداب والحكم والنوادر والأمثال عطلاً من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنـــس الوحـــيد وزاد الراكـــب ، لعظـــم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس "

ثم يقول وهو يتحدث عن اختلاف الناس في الغناء [2] :" فمن حجة من أجـــازه أن أصـــله الشـــعر الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم به ، وحض عليه ، وندب أصحابه إليه ،

وتجند به على المشركين " ويقول بعد ذلك [1]:" فلما أعياهم القدح في الشـــعر والقول فيه ، قالوا : الشعر حسن ، ولا نرى أن يؤخذ بلحن حسن ، وأجـــازوا ذلـــك في القرآن وفي الأذان ، فإن كانت الألحان مكروهة فالقرآن والأذان آحـــق بالتـــنزيه عنها ، وإن كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن واخراجه عن حد الخبر

ورغم وضوح هذا الجانب في حياة ابن عبد ربه إلا أنه ينبغي أن نسجل كذلك أن جوانب الالتزام ، والاتزان ، ووقار العلماء ومهابتهم ، والعزوف عن الدنيا ، والإقبال على الاخرة هى الجوانب السائدة في حياة الرجل ، والمعروف بها لدى المؤرخين فهو ملقب بالفقيه ، وكتاب التراجم يذكرونه بكل إجلال وتوقير فالحميدي يقول عنه [٢]:" وكان لأبي عمر بالعلم جلالة وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانته وصيانته ، واتفقت له أيام وولايات للعلم فيها نفاق ، فساد بعد خمول وأثرى بعد فقر ، وأشير بالتفضيل إليه " ويقول عنه صاحب يتيمة الدهر [٣] :" أحد محاسن الأندلس علما وفضلا وأدبا ونبلاً"

ويقول عنه المقري في نفح الطيب [٤]" عالم ساد بالعلم ورأس واقتبس به من الحظوة ما اقتبس ، وشهر بالأندلس حتى سار إلى المشرق ذكره ، واستطار شرر الذكاء فكره ، وكانت له عناية بالعلم وثقة ، ورواية له متسقة ، وأما الأدب فهو ــ كان ــ حجته ، وبه غمرت الإفهام لجته ، مع صيانة وورع وديانة ورد ماءها فكرع "

ويمثل شعر الزهد لدى ابن عبد ربه جانباً كبيراً ومتميزات كما قلت ــ وهذا يؤكد جانب هذه الروايات التي تشيد بالرجل وتعلي من مكانته العلمية والدينية ، إذ يبدو أن لهوه وطربه وشرابه وأخذه بقسط وافر من متاعات الحياة كان في سنوات من قوته وفتائه وإقباله على الحياة ، ولكنه لم يلبث من منطلق ديانته وصيانته أن أقبل على الله بكليته ، وتاب توبة المسرف على نفسه فحرص على أن يراجع مع نفسه حساباته ، وكان له هذا الشعر الزاهد وكانت له هذه القصائد " الممحصات" كما سماها وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد ، محصها بها كالتوبة منها والندم عليها فقصيدة الزهد أو الوعظ ممحصة (بكسر الحاء المهملة) وقصيدة الغزل ممحصة (بفتح الحاء المهملة) وواضح من كلام المؤرخين أن القصائد الممحصات كانت كثيرة ، ولكن يبدو أنها ضاعت مع ما ضاع من شعر ابن عبد ربه ، ويدور في المصادر التي بين أيدينا مثال واضح لهذا التمحيص ، إذ يورد صاحب جذوة المقتبس تمحين الثاني منهما

ممحص للأول فيقول وهو يورد النص الأول [1] : " ومما أنشدني من شعره على بن أحمد ، وأخبرني أن بعض من كان يألفه أزمع على الرحيل في غداة ذكرها ، فأتت السماء في تلك الغداة بمطر جود حال بينه وبين الرحيل ، فكتب إليه أبو عمر :

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر ... هيهات يأبى عليك الله والقدر
ما زلت أبكي حذار الموت ملتهفاً ... حتى رثى لي فيك الريح والمطر
يا بردة من حيا مزن على كبد ... نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت ألا أرى شمساً ولا قمراً ... حتى أراك،فأنت الشمس والقمر

ويقول وهو يورد النص الثاني [1]:" ولأحمد بن محمد بن عبد ربه أشعار كثيرة جداً سماها " الممحصات"وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد محصها بها كالتوبة منها،والندم عليها،ومن ذلك قطعة محص بها القطعة المذكورة أولاً وهي:

يا عاجزاً ليس يعفو حين يقتدر ... ولا يقضي له من عيشه وطر
عاين بقلبك إن العين غافلة ... عن الحقيقة ، واعلم أنها سقر
سوداء تسفر عن غيظ إذا سفرت ... للظالمين ، فلا تبقى ولا تذر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة ... فيه عن اللذات مزدجر
أنت المقول له ما قلت مبتدئاً ... هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر"

فالأشعار " الممحصات " إذن كما يسميها صاحبها كانت كثيرة جداً كما ورد في النص وهذا يعني أيضاً أن قصائد الصبا والغزل كانت كثيرة جداً كذلك ، وهذا يمكننا من القول بأن اللونين قد احتلا الحظ الأوفر من شعر ابن عبد ربه، وأنه صدر فيهما عن تجارب صادقة وعميقة، وصدق هذه التجارب من الناحية الواقعية وصدقها كذلك من الناحية الفنية لدى شاعر ذي قلب ذكي مسيطر على لغته في صفاء بيان ومزيد إتقان، كثير الرواية للأشعار واسع الدربة في مجال فنه الرفيع كل هذا يجعلنا نعد هذا الشاعر الذي هو ابن عبد ربه من كبار شعراء الأندلس الذين نافسوا الشعراء المشارقة وعارضوهم، وحرصوا على أن يكون لهم التفوق والمكان الرفيع ، وكان له الكثير مما أراد .

والله الموفق وهو المستعان

هوامش البحث

١. انظر دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وأخرون سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م ـ جـ١ (ابن عبدربه) ص ٢٢٣ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين ، بيروت / لبنان جـ١ ص ٢٠٧

٢. تاريخ الأندلس ٠ تأليف ابن الفرضي أبي الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ٠ الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م ٠ القسم الأول ص ٣٨ ٠

٣. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس تأليف الحميدي أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي. الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦م ترجمة رقم ١٧٢ ص ١٠١

٤. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة المتوفي سنة ٥٩٩ هـ، دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧م ترجمة رقم ٣٢٧ ص ١٤٨.

٥. وفيات الأعيان مجلد ١ ص ١٠١

٦. سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ ـ ١٣٧٤م) أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنوط، حقق هذا الجزء ١٥ إبراهيم الزيبق مؤسسة الرسالة، ط ١١ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م، ص ٢٨٣.

٧. الأعلام ج ١ ص ٢٠٧ ٠

٨. دراسة في مصادر الأدب ٠ د٠ الطاهر أحمد مكي ٠ دار المعارف ط٤ ص ٢٢٣

٩. عصر الدول والإمارات (الأندلس) د- شوقي ضيف دار المعارف (١٩٨٩) ص ٢٨

١٠. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ـ د ٠ أحمد هيكل ـ دار المعارف ٠ مصر ط ٨ ١٩٨٢ م ص ١٨٣

١١. جذوة المقتبس في ذكر الأندلس سنة ١٩٦٦ م ص ١٠١ ٠ ويبدو لي أن ياقونا الحموي قد أخطأ ـ رغم أنه نقل عن الحميدي أيضاً ـ حين قال :" من جملة ما جمع لسلحكم بن عبد الله الملقب بالناصر "

(معجـــم الأدباء لياقوت ، راجعته وزارة المعارف العمومية . الطبعة الأخيرة . عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر جـ ٤ ص ٢١٥) ذلك أن الحكم ليس ابن عـــبدالله ، وإنما هو ابن عبد الرحمن الذي كان يلقب بالناصر ،ويكني بأبي المطرف وخلافته من ٣٠٠ هـ إلى ٣٥٠ هـ والحكم ـــ أيضاً ـــ لم يلقب بالناصر وإنما كان يلقب بالمستنصر ، ويكني بأبي العاصي، وخلف بعد أبيه من ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـــ . راجع الحلة السيراء لابن الأبار ، حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس . دار المعارف ط ٢ سنة ١٩٨٥ م جـ ١ ص ١٩٧ وما بعدها.

١٢. العقـــد الفـــريد تألـــيف أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي المتوفي ٣٢٨ هـ ، بتحقيق محمد سعيد العريان . الجزء الأول . دار الفكر . ص ٣ ، ٤ .

١٣. العقد الفريد جـ ١ ص ٦ .

١٤. نفسه جـ ١ ص ٢٨ .

١٥. نفسه جـ ١ ص ٢٩

١٦. نفسه جـ ١ ص ٥٦ .

١٧. نفسه جـ ١ ص ٥٦

١٨. نفسه جـ ١ ص ٥٧ .

١٩. نفسه جـ ١ ص ٨٠

٢٠. نفسه جـ ١ ص ١١١

٢١. نفسه جـ ١ ص ٧٩

٢٢. نفسه جـ ١ ص ٨١

٢٣. أنظر نفسه جـ ١ ص ٧٩ ـــ ٨٢

٢٤. نفسه جـ ١ ص ١٥٨ .

٢٥. نفسه جـ ١ ص ١٨٤ .

٢٦. نفسه جـ ١ ص ١٩٦ .

٢٧. نفسه جـ ١ ص ١٧٢

٢٨. نفسه جـ ١ ص ١٧٢

٢٩. نفسه جـ ١ ص ١٧٣

٣٠. نفسه جـ ٢ ص ١٦٣ وما بعدها.

٣١.نفسه جـ ٢ ص ١٧١

٣٢.نفسه جـ ٢ ص ١٧٢

٣٣.بلـه : جمع أبله وهو الغافل والأحمق ٠ والجرامقة : قوم من العجم هبطوا الموصل في أوائل الإسلام ٠ والجرموق : خف قصير يلبس فوق خف (معرب) : (انظر القاموس المحيط والمعجم الوسيط) ٠

٣٤.العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٢٠ ٠

٣٥.نفسه جـ ٢ ص ٣٢٠ ٠

٣٦.نفسه جـ ٢ ص ٣٢٣ ٠

٣٧.لقـن يلقن كفرح يفرح يعني حفظ وفهم بسرعة (انظر القاموس المحيط والمعجم الوسيط)

٣٨.العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٢٤

٣٩.الدءادي = ليالي آخر الشهر٠

٤٠.العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ٠

٤١.نفسه جـ ٣ ص ١٢٤ ٠

٤٢.نفسه جـ ٣ ص ١٢٤ ٠

٤٣.نفسه جـ ٣ ص ١٨٢

٤٤.نفسه جـ ٣ ص ١٨٢ ٠

٤٥.نفسه جـ ٣ ص ١٨٣ ٠

٤٦.نفسه جـ ٣ ص ١٨٣ ٠

٤٧.نفسه جـ ٥ ص ٢٢٣

٤٨.نفسه جـ ٥ ص ٢٢٣

٤٩.نفسه جـ ١ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥

٥٠.نفسه جـ ٥ ص ٢٢٥

٥١.نفسه جـ ٥ ص ٢٢٥

٥٢.نفسه جـ ٥ ص ٢٢٧ ٠

٥٣.الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة٠ د٠ أحمد هيكل ٠ دار المعارف ط ٨ سنة ١٩٨٢ ص ٢٣٢ ٠

٥٤.ظهر الإسلام تأليف أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م جـ ٣ ص ١٢٤

٥٥.دراسة في مصادر الأدب ، د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ط ٤ سنة ١٩٧٧لا ، ص ٢٢٤

٥٦.المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، د. عز الدين إسماعيل ، دار المعارف طـ ٢ ص سنة ١٩٨٠ م ص ١٧٦ ،

٥٧.العقد الفريد انظرا مثلاً جـ ١ ص ٧٢ – ٨٢ ، ص١٢٢

٥٨.نفسه جـ ١ ص ٨٠

٥٩.العقد الفريد جـ ٦ ص ١٦٣ ، ذكر ابن عبد ربه هنا وهو يتحدث عن الاستعارة كلاماً يذكرنا بما يذكره المحدثون عن مفهوم " التناص " مثل قوله " لأن الكلام بعضه من بعض (٦ /١٦٢) وقوله :" ولكن قولهم إن الآخر إذا أخذ من الأول المعنى فزاد فيه ما يحسنه ويقر به ويوضحه فهو أولى به من الأول " (٦ / ١٦٢) ،وقوله :" وقد سئل الأعشى عن الشاعرين يتفقان في المعنى ،ولم يسمع أحدهما قول صاحبه فقال : عقول الرجال توافق على ألسنتها " (٦ /١٦٣) ،

٦٠.العقد الفريد جـ ٣ ص ١٤٠

٦١.الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تأليف أبي الحسن على بن بسام الشنتريني (٥٤٢ هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت / لبنان ، ق /١ مجلد ١ ص ٨٦٠ ،

٦٢.العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٨٥ ،

٦٣.العقد الفريد جـ ٦ ص ٢٠٩

٦٤.نفسه جـ ٦ ص ٢١٠

٦٥.نفسه جـ ٦ ص ٢٠٩ ـ ٢١٢

٦٦.العقد الفريد جـ ٦ ص ٢٠٥

٦٧.معجم الأدباء في عشرين جزءاً ، لياقوت ، راجعته وزارة المعارف العمومية ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ بمصر ـ جـ ٤ ص٢٢٢ ـ ٢٢٣ ،

٦٨.يتيمة الدهر للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي الينسابوري (ت ٤٢٩ هـ) بنفقة على محمد عبداللطيف صاحب المكتبة ـ الحسينية بالأزهر ، ط ١ مطبعة الصاوي سنة ١٣٥٢ هـ ، سنة ١٩٣٤ م ، جـ ٢ ص ٦٥ ،

٦٩. حذوة المقتبس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م ، ص ١٠١ ،

٧٠. نظر بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ص ١٤٨ ،

٧١. وفيات الأعيان جـ ص ١١٠

٧٢. العبر في خبر من غبر لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي (ت٧٤٨ هـ) حققها وضبطها على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط / ١سنة ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م جـ ٢ ص ٢٩ ،

٧٣. نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ، حققه د، إحسان عباس دار صادر / بيروت ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م جـ ص ٥٠

٧٤. الذخيرة ق ١ مجلد ١ ص ٣٢٢ ، والرمادي هو أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي الكندي كان كثير الشعر سريع القول مشهوراً عند العامة والخاصة يقول الشعر في الفنون المختلفة وهو من مداح المنصور بن أبي عامر ، (المغرب في حلى المغرب ، حققه وعلق عليه د، شوقي ضيف ، ط / ٣ – دار المعارف جـ ١ ص ٣٩٢ ، ٣٩٤)،

٧٥. الذخيرة : انظر ق ١ مجلد / ١ من ص ٤٣٧ – ٤٤٢

٧٦. نفسه ق١ مجلد /٢ أنظر من ص ٧٧٠ – ٧٧٩

٧٧. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ ٣ ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥ ،

٧٨. راجع جذوة المقتبس ص ١٠٣ ، ونفخ الطيب جـ ٣ ص ١٣١

٧٩. بلاغة العرب في الأندلس تأليف أحمد ضيف ، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر ط ٢ ١٣٥٦ هـ ، ١٩٣٨ م ، ص ٩٤

٨٠. ظهر الإسلام جـ ٣ ص ١٢٤ ، ١٢٥

٨١. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، د، أحمد هيكل ، دار المعارف، ط ٨ ص ٢٢٥

٨٢. انظر السابق ص ١٩٤ وما بعدها،

٨٣. السابق ص ٢٢٥ ،

٨٤. السابق ص ٢٢٦

٨٥. السابق ص ٢٢٧ – ٢٢٨

٨٦. السابق ص ٢٢٨

٨٧. راجع اقتباسات د. هيكل ودفاعاته في السابق ص ٢٢٨ ــ ٢٣٠

٨٨. معجم الأدباء لياقوت جـ ٤ ص ٢٢١ ، وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ١١٠

٨٩. يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٧٦

٩٠. معجم الأدباء جـ ٤ ص ٢٢١ــ ٢٢٢

٩١. جذوة المقتبس ص١٠٢ ومعجم الأدباء جـ ٤ ص ٣١٦ ويجمل بنا هنا أن نعاود قراءة شعره الغزلي الذي سبق ذكره والذي عارض به صريع الغواني وأشعاره الأخرى التي أوردها على ذكر هذه المعارضة.

٩٢. معجم الأدباء لياقوت جـ ٤ ص ٢١٨

٩٣. يتيمة الدهر للثعالبي جـ ٢ ص ٧٠ والعقد الفريد جـ ٣ ص ١٢٤

٩٤. الباطية : الخمر وأوانيها والزير : إناء الخمر.

٩٥. العقد الفريد جـ ٣ ص ١٢٤

٩٦. العقد الفريد جـ ٧ ص ٢

٩٧. العقد الفريد جـ ٧ ص ٥

٩٨. نفسه جـ ٧ ص ٦

٩٩. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص ١٠١

١٠٠. يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٦٥

١٠١. نفح الطيب جـ ٧ ص ٥٠

١٠٢. جذوة المقتبس ص ١٠١ ــ ١٠٢

١٠٣. نفسه ص ١٠٢ ــ ١٠٣

(المصادر والمراجع)

- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة – د . أحمد هيكل دار المعارف ط ٨ سنة ١٩٨٢ م
- الأعلام . خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ، بيروت / لبنان
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ـ تأليف الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة المتوفي سنة ٥٩٩ هـ . دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧ م.
- بلاغة العرب في الأندلس . تأليف أحمد ضيف . مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر ط ٢ سنة ١٣٥٦ هـ ، ١٩٣٨ م
- تاريخ الأندلس تأليف ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ . الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م . القسم الأول.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس تأليف الحميدي أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت ٤٨٨هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م .
- الحلة السيراء لابن الأبار ـ حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس . دار المعارف ط ٢ ١٩٨٥ م
- دائرة المعارف الإسلامية . نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وآخرون سنة ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م جـ ١ .
- دراسة في مصادر الأدب. د. الطاهر أحمد مكي . دار المعارف ط ٤ سنة ١٩٧٧ م
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تأليف أبي الحسن على بن بسام الشنتريني (٥٤٢ هـ) تحقيق د. إحسان عباس . دار الثقافة ببيروت / لبنان.
- سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ ـ ١٣٧٤ م) أشرف على تحقيق الكتاب وخرج

أحاديثه شعيب الأرنؤوط – حقق هذا الجزء ١٥ إبراهيم الزيبق – مؤسسة الرسالة ط ١١ سنة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م .

– ظهر الإسلام ، تأليف أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٣ م .

– العبر في خبر من غبر لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي (ت سنة ٧٤٨ هـ) حققها وضبطها على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول . دار الكتب العلمية . بيروت / لبنان ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م – جـ ٢ .

– عصر الدول والإمارات (الأندلس) د. شوقي ضيف – دار المعارف سنة ١٩٨٩ .

– العقد الفريد تأليف أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفي سنة ٣٢٨ هـ بتحقيق محمد سعيد العريان . دار الفكر .

– المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي . د. عز الدين إسماعيل ، دار المعارف . ط ٢ سنة ١٩٨٠ م .

– معجم الأدباء في عشرين جزءاً ، لياقوت ، راجعته وزارة المعارف العمومية ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، جـ ٤

– المغرب في حلى المغرب .حققه وعلق عليه د.شوقي ضيف ط ٣ دار المعارف .

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقرى التلمساني . حققه د. إحسان عباس . دار صادر / بيروت سنة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٦٠٨ – ٦٨١ هـ) حققه د. إحسان عباس – دار صادر بيروت .

– يتيمة الدهر للإمام أبي منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) بنفقة – علي محمد عبداللطيف صاحب المكتبة الحسينية بالأزهر ط ٤ مطبعة الصاوي سنة ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٤ م .